العالم الإسلامي

والاستعمار السياسي والاجتماعي الثقافي

الموسوعة الإسلامية العربية

٤

العالم الإسلامي

والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي

بقلم
أنور الجندي

دار الكتاب اللبناني — مكتبة المدرسة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف والناشر

دار الكتاب اللبناني
مكتبة المدرسة
طباعة . نشر . توزيع

الادارة العامة

الصنائع . مقابل مدخل الاذاعة اللبنانية
هاتف: ٣٤٩٠٥٥ - ٣٤٩٢٧٠ - ٣٤٩٢١٩
ص.ب: ٣١٧٦ - تلكس: LE٢٢٨٦٥
برقيا: كتابان . بيروت . لبنان

المستودعات

هاتف: ٢٥٤٠٥٤-٢٣٧٥٣٧-٢٥٧٤٧٠-٢٥٨٣٠٤

طبعة ثانية
١٩٨٣

المحتويات

صفحة

مدخل ٩

١ ـ الاسلام وعالم الاسلام ٢١

الاسلام والامة العربية ٢٣

٢ ـ تركيا ومقاومة الغزو الغربي ٣٧

حركة الانقضاض على الاسلام ٤٤

التحول ٥٦

٣ ـ ايران الشيعة ومقاومة النفوذ الاجنبي ٧٢

٤ ـ افغانستان ، مقاومة الاستبداد والاستعمار ٩٣

٥ ـ باكستان ومسلمو الهند ١٠٠

٦ ـ اندونيسيا ١٢٧

٧ ـ افريقيا : قارة الاسلام ١٤٢

الاستعمار والتبشير ١٥٢

العالم الاسلامي وحركات الوحدة ١٥٩

الوحدة الاسلامية ١٦١

الجامعة الاسلامية ١٧٥

الخلافة الاسلامية ١٩٥

الامة العربية وعالم الاسلام ٢٠٧
الامة العربية ومصر العربية الاسلامية ٢٠٩
مصر العربية الاسلامية ٢١٣
الوحدة العربية والدعوات الاقليمية ٢١٥
الاسلام وحركات المقاومة العربية ٢٢٣
ثورة الجزائر ٢٣١
جذور الوحدة العربية ٢٤٢
حركات الاصلاح في العالم الاسلامي ٢٤٩
الدعوات الاسلامية ٢٥١
دعوة التوحيد ٢٥٤
الدعوة السنوسية ٢٦١
الدعوة المهدية ٢٦٨
الحركات الاصلاحية ٢٧١
حركة جمال الدين ومحمد عبده ٢٧٤
الحركة السلفية ٢٨٦
جمعية العلماء ٢٩٠
الحركة الاسلامية في الهند وباكستان ٢٩٣
حركة الاصلاح في اندونيسيا والملايو ٢٩٨
الحركات الصوفية ٣٠٤
ثمرة الحركات الاسلامية ٣٠٨
الثقافة في العالم الاسلامي ٣٣١
التعليم ٣٣٣
الثقافة ٣٤٧
اللغة العربية في العالم الاسلامي ٣٥٦
اللغات الاسلامية واللغة العربية في الباكستان والهند الاسلامية ٣٦٣

اللغة الاندونيسية واللغة العربية ٣٦٩
حاضر اللغة العربية فى افريقيا ٣٧٠
الاستعمار والعالم الاسلامي ٣٨١
الاستعمار ٣٨٣
تاريخ الاحتلال الغربي للعالم الاسلامي ٣٩١
انجلترا والعالم الاسلامي ٤٠١
التبشير ٤١٥
الصهيونية ٤٢٩
الصهيونية واجهة المطامع اليهودية العالمية ٤٣٣
الحركات الهدامة ٤٤١
البهائية ٤٤٦
القاديانية ٤٥١
الماسونية ٤٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

(مدخل)

مكان البحث : العالم الاسلامي
زمان البحث : من عام ١٧٤٠ إلى سنة ١٩٤٠

كان العالم الاسلامي وحدة لا تتجزأ قبل الغزو الاستعماري الغربي ، قلما تنوعت حكوماته ودوله . فقد كانت تجمعه وحدة فكر ، ووحدة شعور ، ولقد مر العالم الاسلامي بمرحلة الضعف ، وتخلف شأنه في ذلك شأن كل أمة ، وكل حضارة حين تمر بمرحلة بعد مرحلة ، قوة بعد ضعف ، وضعف بعد قوة ، سنة الوجود وناموس الحياة ، ولكن العالم الاسلامي لم يلبث أن استيقظ بقوته الذاتية ، استيقظ من داخل أعماقه ، وبعامل أساسي قائم في كيانه ، قادر على إعطائه عامل القوة بعد الضعف مستمداً إياه من مقومات فكره الأساسية ، ولقد كانت تلك اليقظة سابقة لما حاول الغربيون أن يدعوا انهم مصدر لذلك ، سابقاً الثورة الفرنسية بسنوات طويلة ، ومتقدما على الحملة الفرنسية ، أيضاً ، فقد انبثق من قلب الجزيرة العربية منذ منتصف القرن الثامن عشر تقريباً ، ثم عم الآفاق الى غير ما حد ، مضت هذه اليقظة إليه ، وإلى كل طريق مضى فيه الاستعمار إلى غايته في السيطرة على العالم الاسلامي ، وتمزيق وحدة هذه الكتلة

الجامعة ، التي يربطها فكر عميق المدى ، وشعور دقيق الأثر ، وكلاهما عميق الجذور يمتد إلى يوم بزوغ ضوء الاسلام في القرن السابع الميلادي ومنذ ذلك الوقت ، وإلى اليوم ، لم يقع أمر في تاريخ العالم أو يحدث حدث في حركة الانسانية ، إلا وكان وثيق الاتصال بالإسلام ، والعالم الإسلامي ، مؤثر فيه أو متأثر به ، فقد فرض الإسلام كقوة عقائدية وسياسية واجتماعية مكانه على هذا الكوكب فرضاً ، ولذلك فقد كان ذلك الصدام بين العالم الإسلامي ، والاستعمار أمراً خطيراً بعيد المدى في تاريخ الإنسانية ، وتاريخ الإسلام نفسه ، يحتاج إلى دراسة واسعة عميقة مستوعبة . ولقد كان من الضروري أن يتصدى كثير من الباحثين لهذا العمل ، وأن يحشدوا له الجهود ، وأمامنا دراسات كثيرة ، لعل أكثرها استيعاباً ، وأعمقها « حاضر العالم الإسلامي » الذي تمثل مجموعة من الدراسات الإسلامية الواسعة التي قام بها الأمير شكيب أرسلان ، وألقاها على هوامش كتاب « لوثروب ستوارد » الذي ترجمه عجاج نويهض في أوائل الثلاثينات .

ومنذ صدر ذلك الكتاب وإلى اليوم لم نجد من كتابنا الذين يكتبون بالعربية من أولى العالم الإسلامي اهتماما واسعا ، فقد شغل الكتاب بالدراسات المتخصصة في مجالات كثيرة ، كان أهمها دراسات العالم العربي التي استنفدت جهوداً ضخمة في السنوات العشرين الأخيرة ، فقد صدرت مؤلفات متعددة متخصصة عن واحد من الأقطار الاسلامية ، أو آخر .

ولكن دراسة شاملة تربط بين تحديات الاستعمار ، وبين رد الفعل في العالم الإسلامي لم تحظ باهتمام خاص ، وربما كتب بعض الباحثين دراسات قصيرة استعرضوا فيها أحوال العالم الإسلامي الجغرافية والتاريخية ، وبالرغم من أن بعض هذه الدراسات قد حملت وجهة نظر الغربيين والمستشرقين ، واعتمدت اعتماداً كبيراً على مصادرهم وآرائهم . فان هذه الدراسات لم تستوف الغرض الذي يحقق ظهور دراسة شاملة عن « الاسلام والاستعمار » .

وكثير من الكتاب الذين يتصدون للكتابة عن تاريخ الإسلام السياسي ، أو خريطة الإسلام في العصر الحديث يعتمدون اعتماداً كبيراً على المصادر الغربية ،

وهم معذورون في ذلك ، حيث انها متوفرة على نحو كبير ، وهي قادرة على منحهم كل ما يريدون من معلومات بدراستها الواسعة ، ولكن هذه المصادر لها وجهات نظر مستمدة من علاقة الاستعمار والتغريب بالعالم الإسلامي وتاريخه .

وهؤلاء الكتاب ينقادون مع الأسف وراء دقائق خطيرة بحسن نية أو عن تصور أنها نظرات علمية ، بينما هي في أعمق أعماقها ، تحمل معنى التوجيه الاستعماري ، وتبطنها الكراهية والحقد ويغلفها الصراع القائم بين الإسلام والغرب من قديم . والمعروف سلفا أن الدراسات الغربية عن الإسلام (فكراً أو تاريخاً او سياسة أو جغرافيا) إنما تقوم على أساس خطة أساسية هي إقناع المسلمين أنفسهم بأمور هامة ورئيسية تحول دون وحدتهم أو قوتهم ، لتثير أسباب الخلاف والصراع بينهم دوماً وتجددها كلما هدأت هذه الأسباب، رغبة في أن يظل هذا العالم ممزقا ، فلا تقوم به وحدة فكر من شأنها ان تؤدي إلى وحدة جامعة تمكنه من تكوين جبهة صامدة في وجه الغزو الاستعماري .

ومن الحق أن المسلمين والعرب في مواجهة الغزو الاستعماري الجديد : اقتصادياً وثقافياً ، ومواجهة التغريب المركز ، هم في حاجة إلى عناصر الملاءمة ، والالتقاء ، وفي حاجة إلى عوامل الترابط ، والامتزاج ، والإغضاء عن الخلافات القديمة ، والمعارك الماضية التي قامت بين المذاهب السياسية ، ثم كادت أن تموت ، لولا أن الاستعمار عجل ببعثها من جديد ، وأيقظها ، ودفعها لتثير الخلاف مستأنفاً حتى لا يلتقي أصحاب الفكر الإسلامي الذي يستمد أصوله من التوحيد على الوحدة ، وهم من ناحية أخرى في حاجة إلى النظرة العلمية التي تستمد جوهرها من الايمان بوجودهم وشخصيتهم وكيانهم وقيمهم الأساسية ، وهي نظرة يجب أن تختلف أساسا عن نظرة الغرب إليهم .

فالمعروف أساسا أن الغرب كان يحمل حقد الحروب الصليبية في أعماقه لم يتخل عنه ، وكان يخاصم الدولة العثمانية التي مدت نفوذها إلى أوربا . وسيطرت عليها خمسة قرون ، وان هذه الأحقاد والخصومات قد جرت في دمائهم جيلاً بعد جيل ، ولذلك فمن غير المعقول أنهم ينصفون الإسلام والمسلمين ، والعرب والدولة العثمانية ، أو يصدرون فيها عن رأي مجرد من الهوى ، أو عقل

وضمير متحررين عن الاحساس الذاتي العميق ، الذي قلما ينفصل عن شخصية المؤرخ أو الباحث الغربي .

ومن هنا فهم لا يستطيعون أن يعرضوا تاريخ الإسلام عرضاً بريئاً خالصاً لوجه الحق ، وحيث هم يرون أن « العالم الإسلامي » هو التجسيد الماثل للإسلام ، فهم لا يرون للمسلمين قوة أو نهضة تمكنهم من القوة والعزة ، فهم ما زالوا يمثلون الخطر الذي يمتص ثرواته ومقدماته .ولقد كان هدف الاستعمار الأساسي من السيطرة على العالم الإسلامي هو القضاء على هذه القوة المعنوية العقلية والروحية التي ترفع المسلمين إلى اليقظة ، وامتلاك ناصية أمورهم ، والسيطرة على مقدراتهم . وكان القضاء على هذه القوة ـ ولا يزال ـ هو أهم في أهداف الاستعمار بحسبان أنه العامل الوحيد الذي يعارض استعمارهم ، ويقاوم وجودهم ، ولكن القيم الاسلامية الحيوية هي دائماً قادرة على التجدد والنمو والتفاعل ، كلما مرت بالعالم الإسلامي فترة من الضعف أو أزمة من أزمات التخلف ، لتدفعه إلى الأمام مرة أخرى . ومن أجل هذا فإن الأقلام الغربية في كتاباتها عن العالم الإسلامي . ومن خلال عشرات المؤلفات والدراسات والموسوعات إنما تحاول أن تصور العالم الإسلامي تصويراً بعيداً عن حقيقته . ولهذا فإن اتجاه بعض كتابنا إلى ترديد هذه النظريات ، موالاة للفكر الغربي ، أو عجزاً عن فهم جوهر أمتهم وقيمها ومقدراتها ، إنما يترك آثاراً بعيدة المدى في تأخير النهضة ، والقضاء على روح اليقظة .

فالغربيون يحاولون إثارة الشبهات المختلفة رغبة في تمزيق وحدة العالم الاسلامي الفكرية ، وإحلال الثقافات الإقليمية والقومية محلها . ولكن هذه الثقافات ما تزال تستمد مقوماتها من الفكر الإسلامي أساسا . ولذلك فهم يدعونها إلى إحياء تراث قديم جدا سابق للإسلام كالفرعونية والبربرية والفينيقية ، وحضارات سالفة في أندونيسيا والهند وإيران وتركيا ، ولكن هذه الدعوات القديمة ما تزال تتهاوى حيث لا أدب لها ، ولا تراث ولا مقومات تربط الأمم بها بعد أن قضى عليها الإسلام خلال أربعة عشر قرنا ، وما تزال الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي هو أعمق عوامل الترابط بين حاضر الأمم الإسلامية

وماضيها . ويحاول الغربيون أن يصوروا الإسلام على أنه « دين » وأنه لاهوت ، ويشبهونه في هذا بأديان أخرى ، هو يختلف عنها ، لأنه ليس دينا فحسب ، ولكنه دين ومجتمع وحضارة . وهو في هذا مخالف للصورة التي عرفتها أوربا للدين والكنيسة ومناهضتها للنهضة ، أما الإسلام فهو يتميز في موقفه من الحضارة والنهضة بأنه منشىء « المنهج العلمي التجريبي » الذي بنت عليه أوربا الحضارة .

وتحاول مقررات التغريب أن تفرض على القيم الاجتماعية والإنسانية مفاهيم تختلف عن مفاهيمنا المستمدة من فكرنا الإسلامي ، كما تحاول إثارة الشبهات حول تاريخنا ولغتنا ورسولنا وتراثنا لتفسر مفهومه في نظر الأجيال الجديدة . ومن هنا فإن اعتماد كتابنا على مصادر الغرب عمل خطير يحمل طابع الهدم لقيمنا ومقوماتنا ، وهو خطر لا يعرف كتابنا مدى أثر المتابعة له . ولذلك فقد كان من الضروري إعادة النظر في هذه الآراء جميعا في محاولة لعرض (حاضر العالم الإسلامي) على نحو أكثر اتصالا بقيمنا ، وأكثر إيمانا بكياننا ، وأكثر تحرراً من نظرة الغير الخاطئة المعادية لوجودنا وتاريخنا وأمتنا وكياننا .

ونحن في الحق لا نعادي النظرات المنصفة ، والآراء الخالصة لوجه الحق والعلم ، بل نرحب بها ، ولكننا نصحح المفاهيم الخاطئة المغرضة التي يدفع بها النفوذ الاستعماري كأسلوب من أساليب استدامة وجوده بتدمير وجودنا .

والعالم الإسلامي حقيقة واقعة تلعب دوراً أساسياً في سياسة العالم بين الكتلتين الشرقية والغربية لها ثقلها في ميزان التاريخ ، والسياسة الدولية ، والوجود البشري .

لهذه القوة ميزتان :

(أولا) انه عامل مؤثر ، وما من حدث وقع في العالم كله منذ ظهور الإسلام إلى اليوم إلا كان له به صلة ما .

(ثانيا) ان العالم الإسلامي هو موضع الحساب والتقدير من مختلف سياسات الدول الأوربية الكبرى . فلم يكن قط في أي مرحلة من مراحل التاريخ قوة

مهملة أو أثر منكوراً .

وهـو إلى ذلك حقيقـة فكرية تتمثـل في ربـاط العقيدة الإسـلامية والفـكر والثقافة . وهو إلى ذلك نظام اجتماعي كامل يقوم على هذه العقيدة ، وهو منهج إنساني شامل العلاقات بين الأفراد والجماعات ، وبين الشعـوب والمجتمعـات والدول ، فهو يضـم سبعمائة مليون من المسلمـين يمثلـون خمس سكان العالـم (الذي يضم ٣٣٠٠ مليون نسمة) ومن بينهم مائة مليون عربي ، وهو موزعون على أكثر من ٦٧ دولة يوجد فيها المسلمون بنسبة ، او بأخرى من بينها عدد من الدول اكثر من نصف سكانها مسلمون ، وهم منتشرون في أوربا وأفريقيا وآسيا واستراليا منها ٢٣ دولة مستقلة في إفريقيا و١٤ دولـة مستقلـة في آسيا ، حتـى ليمكن أن يقال إن واحداً من كل ستة أشخاص في العالم يدين بالإسلام .

وحتى ليوشك أن لا تكون هناك دولة واحـدة في عالـم اليوم لا يتمثـل فيهـا الإسلام ولو ببضعة عشرات من الآلاف كما في استراليا ، أو غرب أوربا . ويكاد يكون الاسلام هو الدين القومي في مجموعة ضخمة من هذه الدول .

نعم هو عدد ضخم من البشر يتحد في العقيدة والفكر والشعور لا مثيل له في العالم كله ، يتميز بأكثر من عامل قوة ، أهمها المجاورة في المكان ، والتركيز في قلب العالم في منطقة تمتد دون حواجز أو فواصل من أواسـط آسيا إلى المحيط الأطلسي ، من روسيا في الشمال والمحيط الهنـدي ، جنوبـا إلى ما وراء خط الاستواء . ويملك احتياطي العالم كله من المواد الخام ، والبترول ، ومـا يزال العالم العربي هو قلب العالم الإسلامي ، مقر العقيدة ومركز الأماكن المقدسة والأزهر ، وما زال العرب يمثلون القيادة الفكرية والروحية ، على مذهب الجماعة والسنة . وقد انتشر الإسلام في هذه المناطق الواسعة بعمل الأفراد دون ان يكون له نفوذ سياسي ، أو قوة تعتمد على المؤسسات والدول والاعتمادات ، في أفريقيا وفي آسيا وفي أوربا وأمريكا ، وما زال الإسلام في توسع دائم في منطقتـين من أخطر مناطق العالم هما : قلب أفريقيا ، وجنوب شرق آسيا بالإضافة إلى العالم الجـديد ، والإسـلام دين المستقبـل ، وأفـريقيا للإسـلام هي قارة المستقبـل . والحقيقة التي يعترف بها الباحثون المنصفون هي : أن الإسلام ينتشر كل يوم وأن

عدد المسلمين يزداد يوما بعد يوم في جميع الأوساط والهيئات ، حيث لم يعرف الإسلام دون الأديان جميعا . أي ارتداد عنه ، أو تحول إلى غيره ، فهو دين وزيادة . وإذا كان الدين علاقة بين الإنسان والله ، فإن الإسلام يزيد إلى هذا علاقة بين الإنسان والمجتمع . هذا الوجود الإسلامي له أهميته وخطره ، فهو يسيطر على قارة وسطى في قلب آسيا وأفريقيا هي من أخطر المواقع العالمية حيث يتكلم عالم الإسلام ثماني لغات في مقدمتها اللغة العربية العالمية ، ولغات متعددة تكتب بالحروف العربية ، ويسيطر على موانىء البحور الثلاثة الأحمر ـ الأبيض ـ الأسود ، ويطل على محيطين هما : المحيط الهندي ، والمحيط الأطلسي ، ومن هنا كانت خطورة الصراع بينه وبين الغرب ، وبينه وبين الاستعمار بتياراته المختلفة ، وقواه المتعددة المتلاقية عليه أصلاً ، وإن اختلف فيما بينهما . هذا الصراع المتجدد الذي لم يتوقف منذ بزغ فجر الإسلام حتى اليوم . ولعل من أخطر ما واجه الإسلام في العالم المعاصر والتاريخ الحديث ، تلك الغزوة الخطيرة : غزوة الاستعمار الحديث التي تمثل في رأي كثير من المؤرخين حلقة جديدة من الحملات الصليبية . اوكما صورها أحد قادتهم « نهاية الحروب الصليبية » التي انحسرت عن العالم الإسلامي منذ ثمانية قرون مهزومة ، مدحورة . وقد عادت مسيطرة هذه المرة . وهذا هو موضوع هذا الكتاب . ذلك أن العالم الإسلامي في العصر الحديث ما كاد يستيقظ (من أعماقه ومن داخله) ليجدد حياته ، وليعيد تجميع قواه ، وانفاس واقعه حتى واجهه الغزو الاستعماري بحركة تطويق ضخمة ، لم تلبث أن اندفعت إلى أعماقه ، فكانت مهمته مزدوجة هي مهمة اليقظة ، ومهمة المقاومة . وكان ضعف الدولة العثمانية مقدمة لحركة الاستعمار الذي طمع في أن يمزقها ، ويسيطر على مقدراتها . ومن ثم واجه العالم الإسلامي معركة طويلة بين المحافظة على وجوده وقيمه ، وبين الاستعمار الغاصب ، قدم فيها الشهداء والضحايا والدماء ، وقاوم بكل ما يملك أهله ، حتى بالأجساد المتراصة أحياناً ، أمام قوات حديثة الأسلحة ، مليئة بالمكر والغدر ، ودخل معارك حاسمة لم ينهزم فيها عن طريق السلاح رغم قلة العدد والعُدد . ولكن هزم بالمؤامرة والخداع ، ولم تستسلم فئة منه إلا بعد أن غدر بها ، أو فقدت كل ما تستطيع أن تقاوم به من عتاد ، وغلب طابع المقاومة على

مختلف طوابع المجتمع الإسلامي : واستطاع العالم الإسلامي أن يواجه التحدي ، تحدي الحضارة الأوربية الاستعماري بصمود عظيم . واستطاع أن يرد بقوة وصلابة جيشا من الطامحين الغزاة ، وقاوم في سبيل التحرر من النفوذ السياسي والاقتصادي والعسكري الغربي ، وخطا المسلمون خطوات واسعة في سبيل التحرر ، وأفسدوا حلم الاستعمار في البقاء الطويل واستمرت مقاومة العالم الإسلامي وامتدت ، ولم تتوقف : فاندلعت ثورات الهند وأندونيسيا ومصر والجزائر والمغرب وليبيا والسودان وتركستان والقوقاز . ولم يتوقف المسلمون جيلا بعد جيل في نطاق الدعوات الإسلامية ، أو الدعوات الوطنية ، أو الدعوات القومية عن مقاومة الاستعمار . ولم يقبلوا أبداً أن تحتويهم مناطق النفوذ ، قاوموا الاستعمار والتبشير والصهيونية ومذاهب الالحاد والإباحة . وعمد الاستعمار إلى مخططات خطيرة ، حاول الفصل بين العرب والمسلمين ، وبين الترك والعرب ، وبين المسلمين والنصارى ، وبين المسلمين والهندوس . وأثار الخلافات القديمة بين السنة والشيعة ، والبربر والعرب . وجمد الاستعمار المجتمعات البدوية ، وجمد القبليات ، وحرص على عدم انصهارها في المجتمعات الكبرى . حتى لا تسود الأمة وحدة شاملة ، وحال دون مقدرة الوحدات الصحراوية على التمدن ، لتظل هناك طبقات مختلفة ، وقوى متفاوتة . وخلق المشكلة الطائفية ، وغذاها وفرضها لتكون أداة سياسية له ، فقد كان التعايش قائما وآمنا على شريعة الله بين الأغلبية المسلمة ، والطوائف المختلفة قبل الاستعمار . غير أن الاستعمار حرص على أن يؤلب ويوقع بين الطوائف ، ويأخذ في كنفه الأقليات ليدفعها إلى الانقضاض الدائم ، أو وقت أن يريد . وألب الاستعمار ، وأثار الخلاف بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية وعمق خلافاتهما ، وألب الخلاف بين العرب والترك ، وأوقع الثأر بينهما ، وألب الخصومات بين الفرق الإسلامية . وفتح الاستعمار باب التبشير للإرساليات ، وساندها وضمن لها حرية الحركة والتمويل . وسهل الاستعمار استيراد أقليات دينية غريبة من الأرمن والأشوريين والنساطرة في المشرق العربي ، وقدم أجناسا أخرى من مالطيين ويونانيين ويهود .

واحتضن الاستعمار الفرنسي المارون ، واحتضن الاستعمار البريطاني

الدروز ، فأوقع بينهما وعمل على تمزيق الدولة العثمانية إلى عرب وترك ، وتمزيق سوريا إلى علويين ودروز ، وإلى دمشق وحلب . وعمد إلى تحويل لبنان الصغير إلى لبنان الكبير . وحشد أكبر أقلية مسيحية في رقعة واحدة ، وأفسد الاستعمار نمو الإسلام وتوسعه ، ووقف في وجه زحفه السلمي ، وقاومه ووقف في وجه اللغة العربية ، وجمد انتشارها بحسبانها لغة القرآن . ونشر لغته ، وعمد الاستعمار إلى تمزيق الروابط التاريخية والفكرية بين قوميات المسلمين من عرب وترك وفرس ، وعمق هذه الخلافات بينها حرصا على الانفصالية والحيلولة دون الوحدة الفكرية ، أو الأخوة الروحية ، وانبثقت الغزوة الاستعمارية عن الحركة الصهيونية الطامعة في الوصول إلى (القدس) في قلب فلسطين ، طمعا في إقامة هيكل سليمان مكان بيت المقدس . وتجمعت مطامع روسيا القيصرية ، وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وأسبانيا وهولندا ، كلها لتجتاح العالم الإسلامي . وكانت الصهيونية من وراء هذه القوى . ثم أسفرت عن هدف واضح . وإذا كان للاستعمار أثره البعيد في تمزيق وحدة العالم االإسلامي . وإقامة الكيانات الإقليمية ، فإن أخطر تحديات الاستعمار هي تحديات الغزو الثقافي في سبيل إبقاء الوجود الاستعماري ، ودعمه بما يحقق للاستعمار استمرار استنزاف المواد الخام من العالم الإسلامي ، وامتصاص ماليته ، واقتصاده باتخاذه سوقا تجاريا لمنتجاته . ولذلك فقد كانت حركة اليقظة والمقاومة عميقة المسؤولية . فقد عملت على تصحيح مفاهيم الإسلام والتماس جوهره وقيمه ومفاهيمه الأساسية باعتبارها الوسيلة الأولى للمواجهة والمقاومة ، وإيماناً بان انفصال المسلمين عن جوهر فكرهم ، هو الذي أصاب وجودهم بالهزيمة والضعف . وقد أبرزت حركة اليقظة والمقاومة مجموعة ضخمة من الأعلام والقادة والأبطال الأفذاذ الذين قادوا النضال ، كابراً بعد كابر ، بحيث لم تسقط الراية أبداً من أيدي قادة النضال الذين يتتابعون على العالم الإسلامي ، وكانت حركاتهم متوالية يكمل بعضها بعضا . فهي قد اتصلت فلم تنفصل ، وتوالت فلم تتوقف ، وتوزعت على مختلف وحدات العالم الإسلامي ، وما تزال تدفع بالأفذاذ والقادة في مواجهة التحديات ، وعلى قدرها صلابة وصموداً .

وما يزال الإسلام ينمو ذاتيا رغم كل العقبات التي توضع في طريقه ، وقد ارتبط

بحركات النضال والتحرر ، ورفع مستوى أتباعه في كل مكان ، وعلمهم الكرامة والعزة والايمان والأخلاق . وبعد فماذا فعل العالم الإسلامي إزاء الاستعمار ؟

هل تقبله راضياً ، وذاب فيه وفني في بوتقته وانصهر وجوده وانمحى كيانه ؟

الحق أن لا ! ولن يكون ذلك ولو طال صراعه مع الاستعمار ، فإن الجذور العميقة للإسلام لا تزال حية ، والخلايا لا تزال نفاذة وقادرة على المقاومة طويلا . وبالرغم من الخلافات التي يجددها الاستعمار بين السنة والشيعة ، والعروبة والإسلام . فإن هناك أرضية عريضة للالتقاء موجودة ، ويمكن أن تنمى ، والمسلمون والعرب ، والسنة والشيعة قاذرون جميعاً على أن يفهموا الهدف من تفريقهم وتمزيقهم ، وإلقاء الفرقة بينهم ، فيزيلوا العوامل المصطنعة التي وضعها الاستعمار ونماها وهم يعرفون أن كل الشيع والفرق والطوائف بدأت أساساً كصراعات على السلطة والحكم . وقد انتهت بانتهاء عصورها .

هذه الأرضية تتمثل في وحدة الفكر التي يفرضها الإسلام ، وتدعمها القيم الأساسية ، الكبرى المشتركة بين المسلمين جميعاً استمداداً من ثقافتهم وتراثهم وجذورهم الممتدة إلى أربعة عشر قرناً .

والعالم الإسلامي يضم عديداً من القوميات ، وليست القوميات معارضة للاخاء الإسلامي ، وليست ضد مفهوم الإسلام ، وليس الإسلام في مواجهة القوميات ، وإنما يتقبل الإسلام القوميات كعامل قوة ، ويدفع عنها التعصب والعنصرية ، ويجعلها مفتوحة للالتقاء مع وحدة الفكر التي تربط القوميات على صعيد الإسلام .

ولن يحول اختلاف المسلمين في المذاهب عن الوحدة والأخوة ، ولن تقف عقبات باسم العروبة والإسلام ، أو السنة والشيعة عن التضامن والتلاحم .

ولن يتخلى المسلمون عن مقومات فكرهم إزاء غزو الفكر الغربي لهم ، وفي مواجهة نظريات القومية والديمقراطية والاشتراكية والحرية ، التي تتميز جميعها بأنها ذات جذور أصيلة في الفكر الإسلامي ، وهي قيم لها مفاهيم واضحة